التعليقات
على كشف الشبهات

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبدالله بن صالح القصيّر

دار **الحلية** للنشر والتوزيع
الرياض ، هاتف وفاكس : ٢٦٦٠٠٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله العليم الحكيم، وصلى الله وسلم على نبيه الأمين ورسوله الكريم، وعلى آله وأصحابه أئمة الأمة في التعلم والتعليم.

أما بعد:

فهذه جملة فوائد على رسالة «**كشف الشبهات**» للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى كنت قد جمعتها مما اطلعت عليه من كلام أهل العلم المتقدمين منهم والمعاصرين على تلك الرسالة المباركة، أحببت إلحاقها بها ونشرها معها تعميماً لفائدتها ورجاء مثوبة الله تعالى عليها. والله المسؤول أن ينفع بها كما نفع بأصلها فإنه تعالى على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفقير إلى عفو ربه
عبد الله بن صالح القصيّر
الرياض في ١٤٢٣/٤/٦هـ



فوائد بين يدي الكتاب

فوائد الكتاب:

الأولى: الشبهات جمع شبهة، والشبهة هي: المسألة الباطلة التي صورت للناس شبيهة بالحق لما أورد عليها من الأدلة التي يظن المستدل بها والسامع لها - من غير أهل الفقه في الدين - أنها من العلم لما قرن بها من الدليل والبرهان، فظنوها من الحق لشبهها به، فصار أمرها غير واضح لبعض الناس.

الثانية: الشبهة كقول قد تكون في الاعتقاد المشركين ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾[1]، وقولهم:﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾[2]، وقد تكون في الأحكام كقولهم: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾[3]، وقولهم «الميتة قتلها الله، فهي أولى بالحل مما ذبحتم بأيديكم».

الثالثة: كشف الشُبهة: هو رفع التباسها بالحق ببيان مضمونها وغايتها ووجوه بطلانها ومخالفتها للحق، وفساد الاستدلال بما أورد لها من الأدلة الصحيحة، وبطلان الأدلة الضعيفة.

---

(١) سورة ص ، الآية ٥ .

(٢) سورة الزمر، الآية ١ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٧٦ .

الرابعة: كشف الشُبهات ورد الضلالات من أصول الدين التي دل عليها الكتاب والسنة، وقام بها أئمة الأمة منذ عهد الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ إلى يومنا هذا، فإن القرآن والسنة قد دحضا الشُبه التي أثيرت على الحق زمن الوحي من أهل الباطل، واشتملا على أصول دحض الشُبه ورد الباطل فإن أهل الباطل لهم كتب وعندهم حجج، ولكنها داحضة إذا قوبلت بالحق من أهل الحق المختصين بفقهه وفهمه، ومعرفة ما في خلافه من وجوه البطلان، قال تعالى: ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾[1].

فدحضُ الشبهات التي تورد على الحق واجب بحسب الطاقة على من عنده أهلية من أهل كل زمان ومكان، وهذه الرسالة المباركة نموذج من جهود أعلام الأمة في تفنيد شبهات أهل الباطل وهداية الأمة للحق لأن ترك الشبهات دون رد يجعل الباطل يلتبس بالحق، وهذا من أسباب خفاء الحق وضلال كثير من الخلق.

الخامسة: إنما سمى الله تعالى ما يدلي به أهل الباطل، من الشُبه ـ معترضين بها ـ على الحق حجة لقوة الشبهة، وذلك لما فيها من الاستدلال بنصوص الحق على الباطل، مع ما يزينون به باطلهم من زخرف القول حتى يكون لبعض شبههم حظ من النظر أي أنها تستحق التوقف عندها والنظر فيها لما

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

فيها من مشابهة الحق ـ لأول وهلة ـ فتدخل العقل، لكنها عند الفحص والتمحيص، وعرضها على النصوص المحكمة، وهدي النبي ﷺ، ومنهاج السلف الصالح يتبين أنها بهرج وخداع، وأنها حجج داحضة أمام أنوار الشرع.

السادسة: قد يكون الباعث من إثارة الشبهة:

(أ) تشويه الحق والصد عنه، والتنفير من أهله، وتزيين صور من الشرك وأمور من الباطل.

(ب) وقد يكون الباعث على إثارة الشبهة سوء الفهم للنصوص أو إشكال طرأ على من ينتسب إلى العلم فظنّ أنه محق فيما أداه إليه اجتهاده، وهو مخطئ موافق لبعض أهل الضلال من غير قصد منه.

السابعة: الشبهات:

أ- منها ما هو قديم ومردود عليه في القرآن والسنة وكلام السلف الصالح، كشُبه المشركين في التعلق بالخلق من الملائكة والنبيين والصالحين ودعائهم من دون الله لكن أهل الباطل يتوارثونه ويتفننون في تجديد أساليب عرضه على الناس حتى يظّن أنه جديد، وشبه المنحرفين في الصفات، والقدر، ونحوهم من أهل المقالات الباطلة.

ب- ومنها ما هو جديد، ومن إيحاء شياطين الجن والإنس بعضهم لبعض زخرف القول غرورا إذا ظنوا فتور أهل الحق كشُبه الذين يزينون للناس عبادة أهل القبور وبدع الموالد ونحوها.

الثامنة: الواجب على عامة المسلمين والمؤمنين عند ورود شبهات أهل الباطل عليهم أمور:

الأول: إساءة الظن بأهل الباطل والحذر من الإصغاء إلى شبههم إلا من أجل الرد عليهم ـ ممن هو أهل لذلك:

أ- عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾[1]، و بقوله ﷺ: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ـ يعني القرآن ـ فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**».

ب- وقول بعض السلف: لا تصغي إلى ذي هوى بإذنيك فإنك لا تدري ما يلقي عليك.

ج ـ وحتى لا يلبسوا عليهم دينهم.

د- ولأن بعض أهل العلم عد من أنواع الصبر المأمور به شرعاً: الصبر عن الأهواء المضلة فلا يصغي إلى دعاتها.

٢- أن يقول المرء فيما يورد عليه من النصوص المحكمة من القرآن والسنة التي يشبه بها أهل الباطل ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾[2] فإن القرآن والسنة حق لكن استدلالك بهما على ما تورد من الباطل لا أفهمه ـ أي لا أدري وجه دلالته ـ فالدليل عندي حقٌّ محكمٌ بَيِّنٌ ـ أي إن القرآن والسنة حق ـ لا

(١) سورة الأنعام ، الآية :٦٨ .

(٢) سورة آل عمران، الآية : ٧ .

يُرد ولا يُدفع، واستدلالك أيها المبطل بها على ما تريد شبهة لا أفهمها، فلا أترك المحكم من أجل المتشابه حتى لا أتشبه بأهل الزيغ المذمومين في القرآن في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ﴾[1].

الثالث: الرجوع إلى أهل العلم لمعرفة الحق فيما شبه به أهل الباطل ووجوه رد الشبهة على من جاء بها.

التاسعة: تنوعت الآيات المحكمات في التوحيد والتي ترد شبه أهل الباطل:

النوع الأول: آياتٌ بيَّنت إقرار المشركين بتوحيد الربوبية وجنس توحيد الأسماء والصفات ومع ذلك حكمت بكفرهم وشركهم وضلالهم إذ لم يفردوا الله تعالى بالإلهية ويخلصوا له العبادة.

النوع الثاني: آيات فيها بيان أن مقصد المشركين من اتخاذ الشفعاء والأنداد التقريب والشفاعة وأن هذا هو الذي جعلهم مشركين كافرين مستوجبين للقتال والعذاب، فدلّت على أن حسن القصد، أو حسن الظن بالصالحين لا يبرر الشرك أو البدعة.

النوع الثالث: آيات فيها التصريح بأن المشركين عبدوا آلهة متنوعة من الملائكة والصالحين، ومن الطواغيت والشياطين ومن القبور والتماثيل،

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٧ .

ومن الأشجار والأحجار فاتفقوا على الشرك وتنوعت شركاؤهم وباؤا بالخسران وتأهلوا للخلود في النيران.

النوع الرابع: آيات فيها ذكر أن الصالحين الذين اتخذهم المشركون أنداداً من الملائكة والأنبياء والصالحين غافلون عن عبادتهم وسيتبرؤن من عابديهم يوم القيامة ويكفرون بعبادتهم فتنقلب عبادتهم لهم في الدنيا حسرة وعذاباً يوم القيامة.

النوع الخامس: آيات فيها نفي الشركاء والأولاد والأولياء والشفعاء عن الله تعالى وأن من زعم له سبحانه شيئاً من ذلك ما قدره حق قدره.

فهذه آيات محكمات، هي أصول في بيان حقيقة التوحيد، وعظيم ثوابه، والتنبيه على أنواع الشرك، وشؤمه، وسوء عقابه، ورد الشبهة التي يستدل بها للباطل على من جاء بها كائناً من كان.

العاشرة: من فن الرد على الشبه:

الأول: معرفة حقيقة الشبهة ومقصود المستدل بها منها.

الثاني: معرفة هل الشبهة قديمة أو جديدة أو مزيج بينهما حتى يُحدد أسلوب الرد، ويستفاد من ردود السابقين على مثلها.

الثالث: التفريق بين الدليل الصحيح والاستدلال الباطل.

الرابع: البداءة بالرد الإجمالي على الشبهة بعمومها، ثم الرد المفصل، على كل جملة منها بخصوصها.

الخامس: تقديم المتفق عليه على المختلف فيه، ـ لإلزام الخصم ـ ثم تقديم ما هو أقل اختلافاً على ما هو أكثر اختلافاً.

الحادية عشرة: هذه الرسالة اشتملت على جملة الشُبه التي يوردها أعداء توحيد الأنبياء والمرسلين، لتبرير الشرك والتعلق بأهل القبور وإظهار ذلك للناس في قالب حب الصالحين وتعظيمهم وحسن الظن بهم وقد رد الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ على كل شبهة رداً سديداً شافياً مجلياً للحق مزهقاً للباطل فجزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء وأورثه الفردوس الأعلى فقد جلى التوحيد، وفنَّد شبهات أهل الشرك والتنديد وعلّم من بعده شيئاً من أفانين الرد على المبطلين، وأحيا سنة السلف الصالحين.

الثانية عشرة: لا يفهم هذه الرسالة حق الفهم إلا من أتم دراسة القواعد الأربع وثلاثة الأصول وكتاب التوحيد، ; على أهل العلم ﷺ مع كمال العناية والفهم.

الثالثة عشرة: مقدمة الرسالة اشتملت على أمور:

١- بيان حال المشركين من أقوام الرسل، ومن أهل الديانات الأخرى.

٢- بيان معنى التوحيد الذي هو حق الله على العبيد وقد جهله أكثر المكلفين.

٣- بيان أن أكثر الناس مخالفون للتوحيد، معرضون عنه، جهال به..

وهؤلاء المقدمات تفيد ـ المسلم المتبصر ـ الفرح بالتوحيد، والخوف من ضده، وفيها تهيئة للطالب لتلقي ما سيورد عليه من شبهات تلقياً عقلياً حذراً، حتى لا يتأثر بالشبهة مهما عظمت وزخرفت.



بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم(١) رحمك الله(٢) ....

(١) قوله ـ رحمه الله تعالى ـ : «اعلم» : تنبيه على أن هذا الدين علمٌ بالحجة والبرهان فليس بالظن ولا بالعواطف ولا برأي فلان وفلان ، والإتيان بهذه اللفظة لاستدعاء ذهن السامع ليفهم ما سيلقى عليه من الأمور المهمة وأعظم المهمات معرفة التوحيد وخطر الشرك وضلال أهله وخسرانهم قال تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد : ١٩].

(٢) في قول المؤلف ـ رحمه الله ـ : «رحمك الله» :

١- تنبيه على أن هذا العلم رحمة من الله تعالى لعباده إذا قبلوه وعملوا به ، فلا يعطاه ولا ينتفع به إلا رحيم يرحم به الناس وحظه من العلم بحسب حظه من الرحمة ، فكلما ازداد رحمة ازداد علماً ، فإن قبول العلم والعمل به لله تعالى والإحسان بتعليمه إلى الخلق من الرحمة للخلق ، ومن أسباب رحمة الله لمعلم الناس العلم ، وتثبيته على الحق ، فهو رحمة من العالم للمتعلم لعظم إحسانه به إليه ، والراحمون يرحمهم الله.

٢- وأن العلم كذلك رحمٌ بين أهله يبعثهم على التراحم ، وأن يعلم العالم المتعلم الرحمة.

٣- وأن أهل العلم أولى بالتراحم فيما بينهم ومراعاة حق ذي الحق والتحلي بالأدب عند الخلاف وعذر المجتهد من أهل الاجتهاد إذا أخطأ فيما أداه إليه اجتهاده ولم يُعلم منه قصد غير الحق.

أن التوحيـد[1] هو إفراد الله بالعبـادة، وهو ديـن الرسل[2] الذي أرسـلهم الله به إلى عباده، فأولهم نـوح عليه السلام[3]، أرسـله الله إلى قومه لما غلـوا في الصالحين: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر.

٤- وأن هـذا العلـم يحض على أن يـرحم الكـبير الصـغير، ويـوقر الصـغير الكبير،

فإذا قصر أهل العلم في التراحم دل ذلك على تقصير منهم في العلم وحقه.

(١) **التوحيد لغة**: مصدر وحّد يوحد توحيداً، ووحد الشيء أفرده، أي جعله واحداً، ووحد الله تعالى جعله واحداً أي فرداً فيما هو مختص به أي في وصفه وفعله وحقه على خلقه.

وشرعاً: هو إفراد الله تعالى بأفعال الربوبية والأسماء الحسنى والكمال في الذات والصفات وتنزيهه عن النقائص والعيوب ومماثلة المخلوقين فيما هو من اختصاصهم واعتقاد أنه الإله الحق المعبود بالحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له ولا يستحقها أحد سواه وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له والبرأة من الشرك وأهله.

(٢) **الرسل**: جمع رسول، وهو لغة: من بعث برسالة، والرسول إنسان حر ذكر أوحي إليه بشرع وأرسل إلى قوم كافرين أو لم تبلغهم رسالة سابقة، فإن أرسل إلى قوم مؤمنين برسالة سابقة أو لتجديد شرع سابق فهو نبي وقد يُنزل على الرسول كتاب جديد وقد يؤمر بالحكم بكتاب أنزل على من قبله وقد يكون الأمران.

(٣) نوح عليه السلام هو أول رسول بعث بعد ظهور الشرك لأول مرة في تاريخ البشرية.

وآخر[1] الرسل محمد ﷺ ، ....

وهو الذي كسر[2] صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون، ويذكرون الله كثيراً، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة وعيسى ومريم، وأناس غيرهم من

---

(١) محمد ﷺ هو رسول الله وخاتم النبيين ، وبختم النبوة خُتمت الرسالة فلا يبعث نبي ولا رسول بعده ينسخ دينه وشريعته ، فدينه خاتم الأديان وشريعته ناسخة للشرائع قبلها وهي باقية حتى يأتي الله بأمره ولا ينافي ذلك ما صحت به الأخبار من نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان ، فإنه لا يأتي بشرع جديد وإنما يحكم بدين الإسلام ولا يقبل ديناً سواه فهو خليفة للنبي ﷺ في أمته يسوسهم بدينه نيابة عنه عليهم جميعاً الصلاة والسلام .

(٢) كسَّر النبي ﷺ الأصنام التي كانت حول الكعبة وذلك عام فتح مكة شرفها الله حينما كان ينكتها بقوسه وهو يطوف بالكعبة فتخر على وجوهها، ولما دخل الكعبة غسل الصور الموجودة في داخلها حتى أزال معالمها وبعث جماعة من أصحابه لكسر الأوثان والأصنام المتخذة آلهة عند قبائل متفرقة من العرب كالعزى ، واللات ، وذي الخلصة ونحوها .

الصالحين[1] فبعث الله محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق لله، لا يصلح منه شيء لغير الله لا لملك مقرب، ولا نبي مرسل، فضلاً عن غيرهما. وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، وأنه لا يرزق إلا هو، ولا يحي إلا هو، ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السموات ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيها كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره، فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول ﷺ يشهدون بهذا، فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[2].

---

(١) كان شرك المشركين الأولين هو التوسل بالتماثيل والأوثان لاعتقادهم أنها توصل إلى الأرواح التي تصعد إلى الملأ الأعلى فتوصل طلباتهم وحوائجهم التي يريدونها من الله خالقهم ومالكهم ومدبرهم، - ويزعمون أن الله - يستجيب لهذه الوساطة فيقضي الحاجة، فكانوا يتوسلون لحاجاتهم إلى الله تعالى بأمرين:

١- بصور الصالحين وتماثيلهم إلى أرواحهم.

٢- بالأوثان إلى الأرواح التي تحل فيها.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣١.

وقولـه : ﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾[1].

فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا ، ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا [illegible][2] [illegible]

---

(١) سورة المؤمنون ، آية : ٨٤- ٨٩ .

(٢) شرك المتأخرين في الإلهية - من المنتسبين للإسلام - هو الذي يسمونه «اعتقاداً» ، فيقولون : فلان فيه عقيدة ، ويعنون أنه يصلح أن يعتقد فيه - أي أنه ينفع - ، وإذا قالوا في حق شخص «سيد» ، فيعنون به أنه يصلح لأن يوسط بين من يعتقد فيه السيادة وبين الله ، وأن الاعتقاد فيه ينفع إذا تشبث به ، وطلب منه أن يطلب لهم من الله حوائجهم ، فيقصدون بالسيد والولي أنه يصلح للالتجاء إليه وينفع إذا اعتقد فيه الشفاعة عند رب العالمين ، وأنه يفيض عليهم من بركته ، وهذا بعينه هو شرك الأولين الذين تعلقوا بالصالحين لطلب الشفاعة والتقريب ، فحقيقة دين الخرافيين المتأخرين أمران :

أحدهما : أنهم يعتقدون فيمن يزعمون أنه سيد نفس ما يعتقده أهل الجاهلية في الأصنام والأوثان من قضاء الحاجة والشفاعة والتقريب.

منهم من يدعوا الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله، ليشفعوا له أو يدعوا رجلاً صالحاً مثل اللات، أو نبياً مثل عيسى، وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة، كما قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾[1]، وكما قال تعالى: ﴿**لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ**﴾[2]، وتحققتَ أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله والذبح كله لله، والاستغاثة كلها بالله، وجميع العبادات كلها لله، وعرفتَ أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون

الثاني: أنهم زُيِّن لهم سوء عملهم فزعموا أن ما هم عليه من الشرك دين يحبه الله تعالى، وهو أبغض شيء إليه، وأعظم ذنب عُصي الله به، ومن هذا شأنه فإنه يبعد أن يتوب من أمر يعتقده ديناً وقربة كما قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨].

(١) الحاجة بل الضرورة في كل زمان ومكان داعية إلى دعوة العباد إلى توحيد ربهم سبحانه في اعتقاداتهم وأقوالهم وأفعالهم، فإنه شرط قبول العمل، وسبب النجاة من النار ودخول الجنة، وثمراته كثيرة وفضائله كبيرة، وقد وقع كثير من الناس فيما ينقص كماله الواجب، أو يقدح فيه ويخل به، وأكثرهم وقع فيما يضاده ويناقضه أو لم يعرف التوحيد بل هو معرض عنه ومستكبر عن الاستجابة للداعي إليه.

(٢) سورة الرعد، آية: ١٤.

شفاعتهم، والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم ؛ عرفتَ حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون[١]، وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله. فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكاً، أو نبياً، أو ولياً، أو شجرة، أو قبراً، أو جنياً لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد[٢]، فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة

---

(١) العلم بالتوحيد هو أصل الاعتقاد، والعمل به هو أصل الملة، وهو خلاصة رسالات المرسلين النبيين، وزبدة الكتب المنزلة من رب العالمين، فلا شيء يعدل العلم بالتوحيد والعلم به ومعرفة ضده، والاستجابة لأمر الله تعالى بتوحيده، وتحقيقه قولا واعتقاداً وعملاً وطاعة لله تعالى والنهي عن ضده بتركه والبراءة منه ومن أهله.

(٢) أ- سبق التنبيه على أن المشركين الأولين يعتقدون في أوثانهم وتماثيلهم أنها تحل فيها أرواح صالحة وأن تلك الأرواح تصعد إلى الله فتبلغه حاجاتهم وتتوسط لهم عنده.

ب- وأما شرك المتأخرين من المنتسبين إلى الإسلام فهو ما يعتقدونه فيمن يسمونهم السادة أو الأولياء وهو أن فيه السر، أي هو الذي يقصد لأجل التوسط، وبيده الإعطاء والمنع، ولهذا يقولون عنه قدس الله سره، ذلك لأنهم يجعلون لروحه سراً، حتى إن بعضهم يجعل لهؤلاء السادة نصيباً في الملك من

التوحيد وهي: لا إله إلا الله، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق به، والكفر بما يعبد من دون الله البراءة منه، فإنه لما قال لهم: قولوا لا إله إلا الله، قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ* .....﴾ الآية[1].

فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى: لا إله إلا الله.

إذا عرفتَ ما ذكرتَ لك معرفة قلب، وعرفتَ الشرك[2] بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾الآية

جهة التفويض، أي حيث إن الله تعالى جعل لهم شيئاً من التصرف في الملك، فجعلوهم شركاء لله في الربوبية مع شركهم في الإلهية.

(١) سورة ص، الآية: ٥.

(٢) يُعرّف الشرك شرعاً بأنه تسوية غير الله بالله في ما هو من خصائص الله كما قال الله تعالى عن أهل الجحيم ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا

﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء :٩٦- ٩٨] ، وهو نوعان :

أ- **أكبر** : وهو دعوة غير الله معه أو صرف شيء من حقه سبحانه لأحد من خلقه.

ب- **أصغر** : وهو ما كان ذريعة إلى الأكبر أو جاء في النصوص تسميته شركاً ولم يصل إلى حد الأكبر مثل يسير الرياء، وقول ما شاء الله وشئت، والحلف بغير الله لفظاً بغير قصد تعظيم المحلوف به من دون الله .

تنبيه: وأما الشرك في الحاكمية وهو ـ الحكم والتحاكم ـ بغير الشرع فهو خطير وشؤمه كبير، لكنه ليس هو أول ما يدعى إليه، ويناظر فيه لأمور:

الأول : أنه أثر من آثار الجهل بتوحيد الإلهية والعبادة، أو الإعراض عنه، أو ضعفه في القلب.

الثاني : أنه كان موجوداً في عهد البعثة، ولم تكن الدعوة إليه ولا المناظرة فيه قبل توحيد الإلهية والعبادة.

الثالث : أن جملة ممن حكموا بغير الشرع ممن ينتسب إلى الإسلام إنما يحكم به لنوع شبهة أو شهوة أو لكونه مغلوباً على أمره ممن هو أكبر منه وهذا من قبيل كبائر الذنوب لا المكفرات، لأنه وإن وجد مقتضى التكفير فقد يوجد مانع وتكفير الشخص المعين يحتاج إلى اكتمال أحكامه .

الرابع : يكون الحكم بغير الشرع كفراً أكبر في أحوال منها :

أ- إذا استحله معتقداً أنه مثل الشرع أو أحسن منه أو أنه يسوغ الحكم به .

وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى أخرهم الذي لا يقبل الله من أحد سواه وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا[1]، أفادك فائدتين:

ب- إذا سن القوانين الوضعية وألزم بها وحماها.

وبهذا يتبين أن لكل شخص حالةً ولكل حالةٍ حكم.

الخامس: أن غالب من خاضوا في شرك الحاكمية وشددوا فيه لُحظ عليهم تقصير أو تفريط في العناية في الدعوة إلى توحيد الإلهية والعبادة، وإنكار الشرك والبدع الموصلة إليه وأنهم ربما صانعوا خصومهم إذا حصل لهم ما يريدون من أمور الدنيا.

السادس: أن الدعوة إليه صارت مشوبة بشيء من حظ النفس، ومن الهوى وشهوة منازعة الحكام لذات الحكم، كما هو ظاهر من كلام المعنيين بذلك والمنظرين له.

(١) قول الشيخ رحمه الله: إذا عرفت ... الخ المراد به ثلاثة أشياء:

الأول: العلم بمعنى لا إله إلا الله ومقتضاها وما يلزم لها وأنه إفراد الله

بالإلهية وإخلاص العبادة له والبراءة من الشرك وأهله.

الثاني : معرفة خطر الشرك ووجوب الخوف منه لأنه أكبر الكبائر وأعظم المهلكات فإنه يخرج من الملة ويحبط العمل ويحرم على من مات عليه المغفرة والجنة ويخلده في النار لذا وجب الخوف منه والبعد عن وسائله وحماه.

الثالث : معرفة دين الإسلام الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام والذي جاء به النبي ﷺ .

١- فالإسلام العام الذي جاءت به جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم عليهم الصلاة والسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله ، فهو مشتمل على تحقيق التوحيد لله تعالى ، وخلع الأنداد والكفر بالطاغوت.

٢- والإسلام الخاص الذي جاء به النبي ﷺ ، فهو :

أ- الإسلام العام الذي جاء به من سبقه من النبيين والمرسلين لكنه ﷺ أكملهم فيه.

ب- والشريعة الخاتمة التي جاء بها عليه الصلاة والسلام ، فهو إسلام من جهتين :

- **جهة العقيدة** : فالإسلام الذي جاء به النبي ﷺ ، أتم توحيداً ، وأكمل استسلاما ، وأظهر في الولاء والبراء .

- **جهة الشريعة**: وهي الشريعة المخصوصة التي جاء بها النبي ﷺ المتميزة باليسر والسماحة والشمول لكافة أمور الحياة والبراءة من الآصار والأغلال ،

الأولى: الفرح بفضل الله[1] ورحمته كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2].

وأفادك أيضاً الخوف العظيم.

فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما ظن المشركون، خصوصاً إن ألهمك الله ما قصّ عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين. ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ

والصالحة والمصلحة للناس من حين جاءت وإلى أن يأتي الله بأمره، فلا يقبل الله ديناً غيره.

(١) قلتُ: وهما ـ والله ـ فائدتان كبيرتان لهما ثمار مباركة:

فإحداهما: أن الفرح بمعرفة التوحيد وتحقيقه والسلامة من ضده من الفرح بفضل الله ورحمته، وهما أعظم مفروح بهما، فإن أعظم النعم الهداية للإيمان ظاهراً وباطناً، والفرح بالتوحيد من أسباب الثبات عليه، والعناية بتكميله والحذر من نواقضه.

وثانيتهما: أشار إليها الشيخ ـ رحمه الله ـ بقوله: «وأفادك أيضاً الخوف العظيم» أي الخوف من الوقوع في الشرك وذلك يقتضي العناية بمعرفته ومعرفة وسائله والبعد عن مواطنه ووسائله وأهله، وشدة الحذر من كل ما يؤدي إليه.

(٢) سورة يونس، الآية ٥٨ .

تَجْهَلُونَ﴾[1] الآية فحينئذ حرصك يعظم وخوفك على ما يخلصك من هذا وأمثاله[2].

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ١٣٨ .

(٢) الأمور التي توقع صاحبها في الكفر متنوعة منها :

أ- الإعراض عن فهم الحق وتعلمه مع الحاجة إليه ، وهو صفة أهل الجفاء ، وأخلاق النصارى ، والمسلم منهيٌّ عن التشبه بهم ، والتعرض لوعيدهم.

ب- معرفة الحق وترك العمل بالواجب منه وهو من الكبر والعناد الذي غضب الله على اليهود بسببه ، ولعنهم ، وجعل منهم القردة ، والخنازير ، وعبد الطاغوت ، وقال عنهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ٦٠] .

ج- إقدام بعض الناس على ترك ما يجب عليه من الحق خوفاً من ملامة ، أو طلباً لجاه أو دنيا ، وهذا نوع من النفاق كفر الله أهله ، إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، والإكراه إنما يكون على القول والفعل ، لا على عقيدة القلب ، فإن الله تعالى قد كفر قوماً في آخر سورة النحل بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، فدل على أن إيثار الدنيا قد يكون كفراً ، وإن لم يكن مستحباً للكفر بل لكونه مستحباً للحياة الدنيا.

د- ومن الناس من يكفر بكلمة يتفوه بها لا يلقي لها بالاً يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب كالذي يتألى على الله أو يعترض بها على

واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء[1]، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا﴾[2]، وقد يكون لأعداء

قدره، أو يقول كلمة ينتقص بها الدين وأهله هازلاً أو مازحاً لينال حظوة عند سلطان، أو شهرة بين الناس، أو شيئاً من حطام الدنيا، أو ليحافظ على منزلته ومنصبه.

هـ - ومن الناس من يكفر بعد إيمانه من غير إكراه لخوفٍ متوهمٍ أو مدارةٍ لمعظم، أو مشحةٍ في مالٍ أو ولدٍ ووطنٍ وعشيرةٍ فيداهن الكفار على كفرهم من أجل ذلك.

(١) اقتضت حكمة الله تعالى أن يبتلي أهل التوحيد بأعداء من شياطين الجن والإنس لحكم كثيرة، وغايات محمودة منها:

١- أن يتبين أن الله تعالى اختار أولياءه الذين يستحقون فضله وكرامته على علم ليقينهم وثباتهم على الحق.

٢- أن يظهر الله الفرقان بين أهل الحق وأهل الباطل بشيء بشري وليس سماوي، هذا هو الأصل وقد ينعم الله بشيء من عنده من السماء كتأييد بملائكة ونحوهم.

٣- أن يجعل الله تعالى أهل الحق قدوةً لمن بعدهم في صبرهم على الحق مع كثرة الشبه.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١١٢.

التوحيد علومٌ كثيرة وكتب وحُجج كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ﴾[1].

إذا عرفتَ ذلك، وعرفتَ أنَّ الطريق إلى الله لابد له من أعداء قاعدين عليه[2] أهلُ فصاحةٍ وعلمٍ وحُجَج، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله

---

(١) ينبغي للعالم والداعية إلى الله تعالى أن يعرف حال الخصوم، وما عندهم من العلوم والحجج التي قد يوردونها عليه حين دعوته لهم للحق من أجل الاستعداد لمناظرتهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن للرد عليهم بسلاحهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ﴾ الآية [غافر: ٨٣]، ولما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له: « **إنك تأتي قوماً أهل كتاب** ... » الخ، فمن هدي القرآن والسنة معرفة ما عند الخصوم من العلم والشبه والاستعداد لمناظرتهم طلباً لهدايتهم وإقامة الحجة عليهم، فيحتاج طالب العلم والداعية إلى الله تعالى إلى أمور:

الأول: أن يفهم ما عند أهل الباطل من العلم والحجج التي يشبّهون بها حتى يرد عليهم.

الثاني: أن يفهم الحجج الشرعية والعقلية التي يظهر بها الحق ويقيم بها الحجة على الخصم.

الثالث: إذا كان الخصوم يتكلمون بغير لسانه فإن تيسر له معرفة لسانهم فليحرص عليه ـ ليعرف مصطلحاتهم وليباشر مناظرتهم بلا ترجمان.

(٢) وأعداء توحيد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أصناف:

ما يصير سلاحاً لك تقاتل به هؤلاء الشياطين[1] الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [2] ولكن إذا أقبلت على الله، وأصغيت إلى حججه وبيناته، فلا تخف ﴿**إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾ [3].

أ- **أهل رئاسة دنيوية**: فيحتاجون إلى مداراة ما أمكن حتى يُستمالوا إلى الحق، أو يوصل إلى أتباعهم من الخلق.

ب- **أهل فكر ودين**: وهؤلاء يحتاجون إلى مناظرة بغاية من التلطف لكشف شبهاتهم وتفنيد افتراءآتهم دعوة لهم وإزهاقاً لباطلهم وهداية لمن حولهم، وهؤلاء يحتاجون إلى الصبر على أذاهم، ومن المهم اتقاء الطعن في معظّميهم ما أمكن اتقاءً لشرهم.

ج- **رعاع معرضون عن الحق**، ومتعصبون لأحد الفريقين عصبية جاهلية.

(١) يحتاج المتصدي لتعليم الناس والدعوة إلى الحق إلى أمرين:

الأول: علم يدفع به الشبهات.

الثاني: ورع يدفع به الشهوات.

ومتى ما دخل ميدان الخصومة والمحاجة بغير هذين السلاحين كان على خطر أن يفتن في دينه، وأن يزيد طغيان خصمه وفتنته بما هو عليه من باطله وضلاله ويطمعه في فتنة الناس.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٦، ١٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٧٦.

والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء هــؤلاء المشركين[1]، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُنْـــدَنَا لَهُـــمُ الغَـــالِبُونَ﴾[2] فجنـد الله هـم الغالبون بالحجـة واللسـان، كما هـم الغـالبون بالسيف والسِّنان، وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح، وقد مَنَّ الله تعالى علينا بكتابه الـذي جعلـه ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَـــيْءٍ وَهُـــدًى وَرَحْمَـــةً وَبُشْـــرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[3] فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها[4]، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـــاكَ بِـــالحَقِّ وَأَحْسَـــنَ

---

(١) من فهم توحيد الله تعالى علماً وعملاً وعقيدة وبراءة فإنه يغلب أعداء توحيد الأنبياء والمرسلين بالحجة في المناظرة والسلاح عند المقاتلة فينصره الله عليهم في شتى الميادين قال تعالى: ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**﴾ [غافر: ٥١]، قال تعالى: ﴿**سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الـــدُّبُرَ**﴾ [القمر: ٤٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المُرْسَلِينَ * إنهـــم لهم المنصورون * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١- ١٧٣].

(٢) سورة الصافات، آية: ١٧٣.

(٣) سورة النحل، آية: ٨٩.

(٤) جعل الله تعالى القرآن وما علمه نبيه ﷺ من بيان تبياناً لكل شيء، وهدى للتي هي أقوم، فلا يأتي مبطل بحجة إلى وفي الوحي المطهر كشفها والجواب عليها، عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَـــكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِـــيرًا﴾ [الإسراء: ٣٣]، فإن الله تعالى قد

تَفْسِيرًا﴾[1] يقول بعض المفسرين: هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة.

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا فنقول: جواب أهل الباطل من طريقين: مجملٌ، ومفصلٌ.

أما المجمل: فهو الأمر العظيم، والفائدة الكبيرة لمن عقلها، وذلك قوله تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾**[2] الآية.

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**»[3].

عصم نصوص الكتاب والسنة من أن تدل على باطل، أو تؤيد مبطلاً على باطله، فلا يستدل بها مبطل على باطله إلا وهي عليه لا له، ولكن الناس يتفاوتون في إدراك ذلك.

(١) سورة الإسراء، آية: ٣٣.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٧.

(٣) من شأن الذين في قلوبهم زيغ أنهم يتبعون ما تشابه من التنزيل، يستدلون به على باطلهم ويشبهون به على أهل الحق رغبة في التضليل فإذا استدلوا بشيء من نصوص الوحيين على الشرك أو الباطل، فينبغي لصاحب الحق أن يرد ذلك، فمثلاً لو أورد مبطل شبهةً أن الأولياء والصالحين لهم ولاية أو

مثال ذلك: إذا قال لك بعض المشركين: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]، وأن الشفاعة حق، وأن الأنبياء لهم جاه عند الله، أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره.

شفاعة أو جاه تسوغ التعلق بهم ودعاءهم من دون الله واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ {يونس:١٨} [يونس: ٦٢] وحديث: « **إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره** » فينبغي لصاحب الحق أن يرد ذلك بأمرين:

الأول: أن يقول: أنا لا أعلم أن الأدلة التي ذكرت تدل على ما تدعي، بل أنكر ذلك وأبرأ منه.

الثاني: أن الله تعالى أنزل القرآن للدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك وهو لا يناقض بعضه بعضاً، وبعث نبيه ﷺ يدعو إلى أن يوحد الله، وتكسر الأوثان، فالقرآن والسنة يهديان إلى ضد ما تدعوا إليه من الشرك والتعلق على غير الله، وكلاهما حق، ووجه استدلالك بالآية على ما تدّعي لا أفهمه.

وهذا جواب محكم مبني على الكتاب والسنة، لا يمكن لأي مبطل أن ينقضه، وهو جواب لأي شبهة يوردها أحد يريد أن ينتصر لباطل أو يشبه بها على أهل الحق.

(١) سورة يونس، آية: ٦٢.

فجاوبه بقولك: إن الله ذكر أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه، وما ذكرته لك من الله ذكر، أن المشركين يقرون بالربوبية، وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء، مع قولهم: ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾[(١)] هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه، وما ذكر لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعِّرف معناه، لكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله، وهذا جواب سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى، فلا تستهون به، فإنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[(٢)].

وأما الجواب المفصل: فإن أعداء توحيد الأنبياء والمرسلين لهم اعتراضات كثيرة، يصدون بها الناس عنه، منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم[(٣)].

(١) سورة يونس، آية: ١٨.

(٢) سورة فصلت، آية: ٣٥.

(٣)من شُبَه أعداء توحيد الأنبياء والمرسلين قولهم: الصالحون لهم عند الله جاه وأنا أطلب من الله بهم .

فجاوبه: بما تقدم، وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئاً وإنما أرادوا الجاه والشفاعة، واقرأ عليه ما ذكر الله في كتابه ووضحه.

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت في من يعبد الأصنام[1]، كيف تجعلون

وكشفها بأن تقول: إن الذين قاتلهم النبي ﷺ، كانوا يريدون من الصالحين الشفاعة والجاه، فلم يدخلهم النبي ﷺ في الإسلام، بل حكم عليهم بالشرك، وقاتلهم حتى اهتدى من اهتدى، وهَلَك من هَلَك، فدل ذلك على أن طلب الشفاعة من الأموات والغائبين شرك أكبر لا يعد صاحبه من المسلمين بل هو مشركٌ حلال الدم والمال إن لم يتب من شركه.

(١) ومن شُبه أعداء توحيد الأنبياء والمرسلين قولهم : « إن الآيات والأحاديث التي فيها ذم المشركين ووعيدهم إنما نزلت فيمن يعبد الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام فلسنا بمشركين » .

وكشفها والرد عليها: بأن نقول :

إن الكفار الذين بعث فيهم النبي ﷺ فدعاهم إلى الإسلام، وقاتل من لم يسلم منهم كانوا متفرقين في عباداتهم ومعبوداتهم، فمنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الصالحين كالعزير والمسيح واللات ووداً وسواعاً وغيرهم، ومنهم من يعبد الأوثان من الأشجار والأحجار، فلم يفرق النبي ﷺ بينهم من أجل تنوع معبود اتهم ـ ولم يخص من يعبد الصالحين بعذر أو

الصالحين أصناماً، أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً؟.

فجاوبه: بما تقدم فإنه إذا أقرّ أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة، ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره فاذكر له أن الكفار، منهم من يدعو الصالحين والأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ....﴾[1] الآية، ويدعون عيسى بن مريم وأمه، وقد قال الله تعالى: ﴿**مَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآَيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾[2]، واذكر له قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ**﴾[3] وقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ**

تكريم ـ بل كفرهم جميعاً من أجل شركهم وقاتلهم حتى قتل من قتل منهم ودخل الإسلام من دخله.

(١) سورة الإسراء، آية: ٥٧.

(٢) سورة المائدة، آية: ٧٥.

(٣) سورة سبأ، آية: ٤٠- ٤١.

سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[1].

فقل لـه: عرفت أن الله كفَر من قصد الأصنام، وكفّر أيضاً من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ، ولم يفرق بينهم.

فإن قال: الكفار يريدون منهم وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم[2].

---

(١) سورة المائدة، آية : ١١٦ .

(٢) ومن شبه أعداء توحيد الأنبياء والمرسلين قولهم: « إن طلب الشفاعة من الأولياء ليس بشرك، بل هو اعتقاد فيهم وحسن ظن بهم » .

وكشفها بالجواب التالي: أن هذا بعينه قول الكفار واعتقادهم في معبوداتهم، قالوا ما حكى الله عنهم ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ [يونس :١٨]، وقالوا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر :٣] ، فكان الذي حملهم على التعلق بآلهتهم - بزعمهم - تعظيمهم وحسن ظنهم بهم وطلبهم الشفاعة لهم من رب الجميع، وقد كفَّرهم الله ورسوله بذلك، وأحل دماءهم وأموالهم وذراريهم من أجل ذلك القول وما أُبني عليه من اعتقاد فاسد وعمل وعملٍ باطل.

فالجواب: أن هذا قول الكفار سواء بسواء، فاقرأ عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾[2].

واعلم أن هذه الشبه الثلاث[1] هي أكبر ما عندهم، فإذا عرفتَ أن الله

---

(١) سورة الزمر، آية: ٣.

(٢) ومن شُبه أعداء توحيد الأنبياء والمرسلين قول طالب الشفاعة من الأولياء والصالحين: أنا لست بمشرك لأني لا أعتقد فيهم شيئاً من معنى الربوبية.

وكشفها بالجواب التالي:

١) أن يُبيِّن له معنى الشرك في القرآن والسنة، وأن حقيقة الشرك دعوة غير الله تعالى معه أو صرف شيء من حقه لأحد من خلقه، وتسوية غيره به فيما هو من خصائصه.

٢) أن يذكر له حال المشركين الذين نزل فيهم القرآن، وإقرارهم لله بالربوبية، ولكن أنكروا تفرد الله تعالى بالإلهية وأبوا عن الإخلاص له في العبادة بإفراده بها فصاروا بذلك مشركين كافرين بالتوحيد.

٣) بيان مرادهم بالتشفع بالمشركين والتوسل بهم، وأنهم ما أرادوا ممن دعوهم من دون الله تعالى إلا الشفاعة والتقريب إلى الله زلفى وهذا شركهم الذي أحل دماءهم وسائر حرماتهم حين لم ينتهوا عنه.

٤) أنهم مقرّون بأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تدبر ولكن لم ينفعهم ذلك مع شركهم في العبادة.

وضحها في كتابه، وفهمتها جيداً فما بعدها أيسر منها.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله، وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة[٢].

---

(١) والشُبه التي أشار إليها الشيخ - رحمه الله تعالى- هي :

الأولى : شبهة انتفاء الشرك عن من أقر بتوحيد الربوبية .

الثانية : حصر الشرك في عبادة الأصنام دون الصالحين.

الثالثة : أنهم لا يريدون من الذين دعوهم من دون الله إلا الشفاعة فلا يطلبون منهم جلب نفع ولا دفع ضر.

وقد سبق الجواب عليها ، وسيأتي ـ إن شاء الله ـ فيما بعد مزيد من التفصيل والتأكيد.

(٢) ومن شُبه أعداء توحيد الأنبياء والمرسلين قولهم : إن الالتجاء إلى الصالحين ودعاءهم والذبح والنذر لهم والاستعانة والاستغاثة بهم ليست عبادة لهم .

كشفها بالجواب التالي :

أولاً : أن نصوص الكتاب والسنة قد دلت على أن هذه الأعمال عبادات، وذلك بالأمر بها وإخلاصها لله والثناء على من تعبد لله بها ووعده بالفوز العظيم والأجر الكريم، ووصف من صرف منها شيئاً لغير الله بالشرك والكفر ووعيده بغضب الله وسخطه وعقابه فتبين من ذلك أن التوجه بشيء من هذه العبادات إلى الصالحين عبادة لهم وإشراك لهم مع الله فيما هو من حقه.

فقل لــه: أنت تقرَّ أن الله افترض عليك إخلاص العبادة لله وحده، وهو حقه عليك.

فإذا قال: نعم.

فقل لــه: بَيِّن لي هذا الذي فرضه الله عليك، فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبيّنها له بقولك: قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١) الآية. فإذا أعلمته بهذا.

فقل له: هل علمت هذا عبادة لله؟.

فلابد أن يقول: نعم والدعاء مخ العبادة.

فقل لــه: إذا أقررت أنه عبادة لله ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره.

فلا بد أن يقول: نعم.

فقل له: إذا عملت بقول الله تعالى: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ (٢) وأطعت

ثانياً: أن عملهم هذا بعينه هو شرك المشركين الذين كفرهم النبي ﷺ وقاتلهم من أجله.

ثالثاً: أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والتابعين لهم بإحسان قد أجمعوا على كفر من سجد لغير الله أو استعان به فيما لا يقدر عليه إلا الله .

(١) سورة الأعراف ، آية :٥٨ .

(٢) سورة الكوثر، آية :٢ .

الله ونحرت له، هل هذا عبادة؟.

فلا بد أن يقول: نعم.

فقل له: إذا نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟.

فلا بد أن يقر ويقول: نعم.

فقل له أيضاً: المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟.

فلا بد أن يقول: نعم.

فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك؟ وإلا فهم مقرون أنهم عبيد الله تحت قهره وأن الله هو الذي يدبر الأمر ولكن دعوهم والتجئوا إليهم للجاه والشفاعة، وهذا ظاهر جداً.

فإن قال: أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها[1]؟.

---

(١) ومن شُبَه أعداء توحيد الأنبياء والمرسلين زعمهم إن إنكار طلب الشفاعة من الرسول ﷺ وغيره من الصالحين بعد موتهم إنكار لشفاعتهم، وتنقص لهم.

كشفها بالجواب التالي :

١- أن الشفاعة ملك لله وحده.

فقل: لا أنكرها ولا أتبرأ منها، بل هو ﷺ الشافع المشفع، وأرجو شفاعته، لكن الشفاعة كلها لله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ (1) ولا تكون إلا من بعد إذن الله، كما قال عز وجل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (2)، ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال عز وجل: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (3) وهو لا يرضى إلا التوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (4) الآية، فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد، تبين لك أن الشفاعة كلها لله، وأطُلبها منه، فأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، الله شفعه فيّ، وأمثال هذا.

٢- وأنها لا تكون من أحد من الصالحين لأحد إلا من بعد إذنه تعالى، للشافع ورضاه عن المشفوع له وهو لا يأذن إلا لأهل التوحيد.

فطلبها من غير الله تعالى شرك وهو سبب الحرمان منها يوم القيامة، فإن الشفعاء المشفعين عند الله تعالى لا يشفعون يوم القيامة إلا لأهل التوحيد فلا حظ في هذه الشفاعة لمشرك.

(١) سورة الزمر، آية: ٤٤.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٢٨.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٨٥.

فإن قال: النبي ﷺ أُعطي الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا فقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾[1]، فإذا كنت تدعو الله أن يشفعه فيك، فأطعه في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ أيضاً فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ، فصح أن الملائكة يشفعون، والأفراط ويشفعون، والأولياء يشفعون.

أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة وأطلبها منهم؟

فإن قلت هذا ؛ رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه.

وإن قلت: لا، بطل قولك أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله.

فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئاً، حاشا وكلا، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك[2].

---

(١) سورة الجن، آية ١٨.

(٢) ومن شُبه أعداء توحيد الأنبياء والمرسلين قولهم: «إن الالتجاء إلا الصالحين ليس شركاً فالملتجئ إليهم ليس مشركاً».

وكشفها بالجواب التالي:

بالتحدي بأن يسأل عن الشرك ما هو ؟ والعبادة ما هي ؟

أ- فإن لم يعرفهما فكيف يتكلم بما لا يعلم.

فقل له: إذا كنت تقر أن الله عز وجل حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا، وتقر أن الله لا يغفره؟ فما هذا الأمر الذي حرمه الله، وذكر أنه لا يغفره، فإنه لا يدري.

فقل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه، أم كيف يحرم الله عليك هذا ويذكر أنه لا يغفره، ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظن أن الله يحرمه ولا يبيِّنه لنا؟.

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام(١).

ب- وإن عرفهما بمعناهما الشرعي تبين بطلان قوله، إن الالتجاء إلى الصالحين ليس شركاً.

ج- وإن عرّفهما بما يخالف الشرع عُرِّف معناهما الحق، وُبيِّن له، فإن قبل وإلا حكم بشركه.

(١) ومن شُبه أعداء توحيد الأنبياء والمرسلين قولهم: « الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام » .

وكشفها بالجواب التالي :

الأول : أن الشرك ليس هو عبادة الأصنام فقط بل منه عبادة الصالحين والأشجار والأحجار وغيرها.

الثاني : أن يسأل ما المقصود بعبادة الأصنام، فإن قصد أنها تخلق وترزق وتدبر؟ فهذا ليس صحيحاً، بدليل أن المشركين كانوا يقرون لله تعالى بالخلق والرزق والتدبير فلم ينفعهم بذلك .

فقل لــــه: وما معـــنى عبادة الأصنـــام ؟ أتظـن أنهـــم يعتقـــدون أن تلــك
الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ فهـذا يكذبـه القـرآن كما في قولـه تعالى ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [1].

وإن قال: هو من قصد خشبة أو حجراً أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك، ويذبحون له ويقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى ويدفع عنا ببركته، أو يعطينا ببركته.

فقل: صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والبنايات التي على القبور وغيرها، فإن أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، فهو المطلوب.

ويقال لـــه أيضاً: قولك: الشرك عبادة الأصنام، هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في هذا؟ فهذا يرده ما ذكر الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين.

الثالث : أما إن قصد الأشجار والأحجار والنباتات والقبور بالدعاء عندها والذبح لها بدعوى أنها تقرب إلى الله زلفى، ويدفع الله عنهم المكروه ببركتها، فهذا هو التفسير الصحيح لعبادة المشركين للأوثان والأصنام، هو نفسه فعل القبوريين والخرافيين الذي صاروا به مشركين.

(١) سورة يونس ، آية : ٣١ .

فلا بد يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين، فهذا هو الشرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب.

وسر المسألة أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله.

فقل له: وما الشرك بالله، فسره لي؟.

فإن قال: هو عبادة الأصنام.

فقل: وما معنى عبادة الأصنام، فسِّرها لي؟.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده.

فقل: ما معنى عبادة الله وحده، فسّرها لي؟.

فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه فكيف يدَّعي شيئاً وهو لا يعرفه؟ وإن فسر ذلك بغير معناه بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان وأنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه[1] وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ويصيحون كما صاح

---

(١) إلزام عُبّاد القبور بأن عملهم عندها من دعاء الصالحين والذبح والنذر لهم شركٌ بالله تعالى يكون من وجوه :

الأول : أن العبادة حق لله تعالى، وهذا متفق عليه بين الخصمين.

الثاني : أن العبادة هي طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ بفعل ما أمر الله به العباد وترك ما نهاهم عنه إذا أديت على الوجه الذي شرع خالصاً لله تعالى.

إخوانهم حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ الآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[1].

فإذا عرفتَ أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا هذا (الاعتقاد) هو الشرك الذي نزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون لله الدين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي البَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى البَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا﴾[2]، وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ

الثالث: أن من أنواع العبادة التي تجب طاعة الله ورسوله فيها، الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد، فكل هذه يجب إخلاصها لله تعالى، ولا يجوز أن يشرك معه فيها غيره، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك.

الرابع: فكذلك الدعاء والذبح والنذر والاستعانة والاستغاثة كلها عبادات يجب إخلاصها لله تعالى، ولا يجوز أن يتوجه به إلى أحد سواه كائناً من كان.

الخامس: المشركون الذين نزل فيهم القرآن كانوا يعبدون الملائكة والنبيين والصالحين، وما كانت عبادتهم إلا في الدعاء والذبح والنذر والالتجاء لطلب الجاه والشفاعة، وإلا فقد فكانوا مقرين لله تعالى بالملك والتدبير وحده، وأن هؤلاء الذين يدعونهم معه عبيده لا يدبرون معه من ملكه شيئاً.

(١) سورة ص، آية: ٥.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٦٧.

السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾(٢)، وقوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾(٣).

فمن فَهِم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله تعالى ويدعون غيره في الرخاء، أما في الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له، وينسون ساداتهم فإذا تبين لك الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين، لكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً راسخاً، والله المستعان.

والأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله إما أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة، أو يدعون أشجاراً وأحجاراً مطيعة لله ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس والذين يدعونهم هم الذين يحكوا عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك، والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد في من يشاهد فسقه وفساده ويشهد به.

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٤٠- ٤١.

(٢) سورة الزمر، آية: ٨.

(٣) سورة لقمان، آية: ٣٢.

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولاً وأخف شركاً من هؤلاء[1] فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهي من أعظم

(١) شرك المتأخرين أغلظ من شرك الأولين من جوه:

أحدها : أن شرك الأولين في الرخاء فقط، وشرك المتأخرين في الرخاء والشدة فشرك الأولين أهون والكل خطير.

الثاني : أن الأولين يشركون بأناس صالحين، أو مخلوقات غير عاصية، وهؤلاء يشركون بالطواغيت والفجرة، فالأولون أعقل من المتأخرين.

الثالث: أن المتأخرين اعتقدوا أن شركهم دين يحبه الله، ولذا يتقربون إليه به، ومن هذا شأنه فإنه لا يتوب من ضلاله إذ كيف يتوب من أمر يعتقده ديناً يقربه من الله تعالى وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فاطر :٨] ، ويقول: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف :١٠٣- ١٠٤].

الرابع: أن المتأخرين في حقيقة أمرهم يعظمون من يعتقدون فيه السر ويتعلقون به من أجل ذلك تعظيماً لا يليق إلا بالله تعالى، فإنهم في الحقيقة جعلوهم مقصودين من دون الله والأولون جعلوهم وسائط إلى الله ومقصودين معه ، فشرك المتأخرين أغلظ ، والكل غليظ وإثم عظيم وضلال مبين .

شبههم، فاصغ سمعك لجوابها، وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلي ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك[1].

الخامس: أنهم اعتقدوا أن توحيد الله تعالى وإفراده بحقه جفاءً للصالحين فأنكروا على من يدعوهم إليه فغاروا ـ كما زعموا ـ على حق الصالحين ولم يغاروا على حق رب العالمين.

(١) ومن شبه أعداء توحيد الأنبياء والمرسلين وهي ـ الشبهة الكبرى ـ قولهم: « إن الذين قاتلهم النبي ﷺ لا يشهدون أن لا إله إلا الله وكذبوا الرسل، وأنكروا البعث ونحن نشهد أن لا إلا الله ونؤمن بالرسل والبعث ونعبد الله ..الخ ».

وكشفها بالجواب عليها بأمور:

الأول: أن الله تعالى قد كفر أقواماً مع النبي ﷺ كانوا يشهدون أن لا إله إلا

الله ويصلون ويؤمنون بالبعث، وشهد الله لهم بالإيمان قبل ذلك، لكن كفرهم لمقالة قالوها في حق بالنبي ﷺ وأصحابه.

الثاني : إجماع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على قتال أصحاب مسيلمة الكذاب، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله .

الثالث : اتفاق علي رضي الله عنه والصحابة ـ رضي الله عنهم ـ معه على قتل الذين سجدوا لعلي غلواً فيه وقالوا أنت هو، يعنون أن علياً هو الله تعالى، فأجمع الصحابة على كفرهم بذلك ووجوب قتلهم، وقتلوهم.

الرابع : إجماع العلماء على كفر من كذب بشيء ما جاء به الرسول ﷺ ولو شهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ، والمشرك الذي يدعو غير الله جاحداً لأعظم شيء جاء به النبي ﷺ وهو التوحيد.

الخامس : إجماع العلماء من كل مذهب على أن من جحد البعث كفر وحل دمه وماله، ولو شهد أن لا إله إلا الله، وهكذا من كذب أحداً من رسل الله عليهم الصلاة والسلام، فكيف يكفر من جحد شيئاً من هذه الأشياء الواجبة، ولا يكفر من جحد التوحيد الذي هو أصل الواجبات . وأعظمها وشرط قبولها .

السادس : إجماع المسلمين على كفر بني عبيد القداح (الفاطميون) الذين حكموا مصر بعد القرون المفضلة لما أظهروا مخالفة الشريعة، وارتكبوا بعض الكفريات، فكفَّرهم المسلمون بذلك مع أنهم كانوا يتكلمون بالشهادتين

الجواب: إنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدَّق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقرّ بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة أو أقرّ بهذا كله وجحد الصوم أو أقر بهذا كله وجحد الحج، ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج أنزل الله في حقهم ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾(١)، ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع وحل دمه وماله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(٢)، فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقاً، زالت هذه الشبهة، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا.

ويدعون إلى الإسلام.

السابع: ما ذكره العلماء من كل ـ مذهب في باب حكم المرتد ـ في كتب الفقه، فقد ذكروا أموراً كثيرة يكفر بها الشخص ويحكم بردته بسببها، ولو شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وصلى وصام.

(١) سورة آل عمران، آية: ٩٧.

(٢) سورة النساء، آية: ١٥٠- ١٥١.

ويقال أيضـــاً: إذا كنت تقرُّ أن من صدق الرسول ﷺ في كل شيء وجحد وجوب الصلاة أنه كافر حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقرّ بكل شيء إلا البعث، وكذلك إذا جحد وجوب صوم رمضان وصدّق بذلك لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا، فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ، هو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ ؟ وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفّر؟ سبحان الله ما أعجب هذا الجهل.

ويقال أيضاً: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وقد أسلمــوا مع النبي ﷺ وهم يشهـــدون أن لا إله إلا الله وأن محمــداً رسول الله ﷺ ويؤذنون ويصلون.

فإن قال: إنهم يقولون إن مسيلمة نبي.

فقل: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ، كفر وحُلَّ مالُه ودمُه، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابياً أو نبياً إلى مرتبة جبار السموات والأرض؟

سبحان الله.. ما أعظم شأنه ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

ويقال أيضاً: الذين حرَّقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتعلموا العمل من الصحابة ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟

أتظنون أن الصحابة يكفِّرون المسلمين؟.

أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر والاعتقاد في علي بن أبي طالب رضي الله عنه يكفّر؟.

ويقال أيضاً: بنو عبيد القدّاح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس، كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويدّعون الإسلام ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال أيضاً: إذا كان الأولون لم يكفروا، إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب: باب حكم المرتد، وهو المسلم الذي يكفر بعد

---

(١) سورة الروم، آية ٥٩.

إسلامه، ثم ذكروا أنواعاً كثيرة كل نوع منها يكفّر ويحل دم الرجل وماله، حتى أنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب.

ويقال أيضاً: الذين قال الله فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، أما سمعت أن الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ ويجاهدون معه ويصلون، ويزكون ويحجون ويوحدون، وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٢٦٥- ٢٦٦] فهؤلاء الذين صرّح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح فتأمل هذه الشبهة، وهي قولهم: تكفّرون المسلمين أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ويصلون ويصومون، ثم تأمل جوابها فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق.

ومن الدليل على ذلك أيضاً ما حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى: ﴿أَجَعَلَ الآَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ وقول أناس من الصحابة: (اجعل لنا ذات أنواط) فحلف النبي ﷺ أن هذا نظير قول بني إسرائيل اجعل لنا إلهاً.

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة، وهي أنهم يقولون: أن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا.

فالجواب: أن تقول إن بني إسرائيل لم يفعلوا، وكذلك الذين سألوا النبي لم يفعلوا، ولا خلاف في أن بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك ولو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا.. وهذا هو المطلوب.

ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم ـ بل العالم ـ قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها فتفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل «التوحيد فهمناه» أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان.

وتفيد أيضاً أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري على ذلك فتاب من ساعته أنه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ وتفيد أيضاً أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً كما فعل الرسول ﷺ.

وللمشركين شبهة أخرى، يقولون: إن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: «لا إله إلا الله»[1] قال له: أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله وكذلك

---

(١) ومن شبه أعداء توحيد الأنبياء والمرسلين استدلالهم «بإنكار النبي ﷺ على من قتل رجلاً بعد أن قال لا إله إلا الله» .

وكشفها بالجواب التالي :

أولاً : أن النبي ﷺ قاتل اليهود والنصارى وسبى نسائهم وذراريهم وأموالهم وهم يقولون لا إله إلا الله .

قوله : «**أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**» وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكّفر، ولا يقتل ولو فعل ما فعل[1].

ثانياً : اتفاق الصحابة على قتل أتباع مسيلمة الكذاب، وقتل الذين سجدوا لعلي ﷺ مع أنهم يقولون لا إله إلا الله .

ثالثاً : أن هؤلاء الخرافيين مقرون أن من جحد البعث كفر ولو قال لا إله إلا الله، فكيف لا يكفر من جحد التوحيد وهو أصل دين الرسل .

رابعاً : أما حديث أسامة فالجواب عليه : أن المشرك إذا قال لا إله إلا الله، فإنه يُرفع عنه السلاح حتى يتبين منه ما يخالف مدلولها، فإن تبيَّن منه ما يخالف مدلولها قتل مرتداً .

خامساً : وأيضاً فإن الذي قال: « أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله» هو الذي قاتل اليهود والنصارى وأمر بقتل الخوارج فتبين أن المراد من لا إله إلا الله معناه ـ وهو التوحيد ـ لا مجرد لفظها ، فمن أظهر ما يناقض ما دلت عليه من التوحيد ونفي الشرك كفّر وقتل إن لم يتب ولو قالها ألف مرة لما سبق من الأمثلة .

(١) ومن شبَه أعداء توحيد الأنبياء والمرسلين قولهم : « من قال لا إله إلا الله لا يكفر ولا يقتل، ولو فعل ما فعل» ، ويستدلون بأحاديث مثل : « **أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**» .

فيُقال لهؤلاء المشركين الجُهّال: معلومٌ أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون لا إله إلا الله، وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون ويدّعون الإسلام، وكذلك الذين حرَّقهم علي بن أبي طالب بالنار، وهؤلاء الجهلة يقولون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله، وأما من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أساس دين الرسل ورأسه؟.

ولكن أعداء توحيد الأنبياء والمرسلين ما فهموا معنى الأحاديث، فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ظنّ أنه ما ادعى

وكشفها بالجواب التالي:

الأول: أن مجرد قول هذه الكلمة لا يمنع من التكفير، فقد قالها أناس كثير وكفرهم الصحابة، إما لعدم علمهم بمعناها أو لعدم عملهم بمقتضاها أو لوجود ما يناقضها وينافيها مثل اليهود وأتباع مسيلمة الكذاب الذين قاتلهم الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وكذلك غلاة الشيعة الذين حرقهم علي رضي الله عنه بالنار لما سجدوا له، فقولها باللسان لا يكفي لعصمة الدم والمال بل لابد من من تحقيق ما دلّت عليه شهادة ألا إله إلا الله، والعمل بمقتضاها وترك ما ينقضها ويضادها.

الإسلام إلا خوفاً على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، وأنزل الله تعالى في ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤] أي: فتثبتوا، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى.

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلا أن يتبين منه ما يناقض ذلك والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ هو الذي قال: «أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» هو الذي قال في الخوارج: «**أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**» مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً وتسبيحاً، حتى أن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة، وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصحابة بني حنيفة، وكذلك أراد النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ وكان الرجل كاذباً عليهم، وكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها ما ذكرناه.

ولهم شبهة أخرى: وهي ما ذكره النبي ﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم نوح، ثم بإبراهيم، ثم موسى، ثم بعيسى فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ.

قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً[1].

والجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال الله تعالى في قصة موسى:

---

(1) ومن شُبه أعداء توحيد الأنبياء والمرسلين استدلالهم على شركهم في الاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة بطلب الشفاعة منهم عند الله تعالى لفصل القضاء وإراحة الخلق من كرب الموقف وهو له.

وكشفها بالجواب التالي:

١) أن هذه استغاثة بأحياء حاضرين قادرين على الشفاعة بعد الاستئذان.

٢) أنها في أمر فيه نوع نفع للخلق، فهي استغاثة حاجة لا استغاثة عبادة.

٣) أنا لا ننكر الاستغاثة بحي حاضر فيما يقدر عليه، وإنما ننكر الاستغاثة بالأموات والغائبين، أو بحي حاضر في أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

٤) أن الاستغاثة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام يوم القيامة، أي طلب الشفاعة منهم وهكذا بالنبي ﷺ في حياته طلب دعاء من حي حاضر قادر عليه، لا طلب نجدة من المدعو، فهو طلب دعاء من المستغاث به لا دعاءاً له، وبهذا تكشف هذه الشبهة وتدحض تلك الحجة التي طالما تعلق بها الخرافيون لتبرير شركهم.

﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾[1]، وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله، إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف وهذا جائز في الدنيا والآخرة، وذلك أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك فتقول له: ادع الله لي، كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ذلك في حياته، وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوا ذلك عند قبره، بل أنكر السلف الصالح على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعائه نفسه؟.

ولهم شبهة أخرى وهي: قصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما أُلقي في النار اعترض له جبريل في الهواء فقال: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم[2]: أما إليك فلا.

---

(١) سورة القصص، آية ١٦.

(٢) ومن شبه أعداء توحيد الأنبياء والمرسلين قولهم: لو كانت الاستغاثة بجبريل عليه السلام شركاً لم يعرضها على إبراهيم ﷺ.

وكشفها بالجواب التالي:

أولاً: أن القصة ضعيفة من حيث السند ـ وإن كان معناها صحيحاً ـ ففي ثبوتها نظر.

قالوا: فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركاً لم يعرضها على إبراهيم؟.

فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله تعالى فيه: ﴿شَدِيدُ القُوَى﴾[1]، فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره أن يضع إبراهيم في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلاً محتاجاً فيعرض عليه أن يقرضه، أو أن يهبه شيئاً يقضي به حاجته فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون.

ولنختم الكلام ـ إن شاء الله تعالى ـ بمسألة عظيمة مهمة تُفهم مما تقدم، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها، ولكثرة الغلط فيها فنقول: لا خلاف أن

ثانياً: أن جبريل عرض على إبراهيم عليهما الصلاة والسلام أن ينفعه بأمر يقدر عليه ـ بإذن الله تعالى ـ فإنه كما وصفه الله تعالى بقوله شديد القوى.

ثالثاً: أنها استغاثة حاجة بحيٍّ حاضر يسمع النداء ويغيث بما يقدر عليه، ففرقٌ بين هذا وبين الاستعانة بميت أو غائب أو حاضر في أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

(١) سورة النجم، آية: ٥.

التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل[1] فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند ككفر فرعون وإبليس وأمثالهما، وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون:

(١) وهي الفائدة العظيمة : أنه لابد أن يكون الشخص موحداً باعتقاده وقوله وعمله وأنه لا يكفي التوحيد بالقلب ـ كما زعموا ـ لوجوه :

١) أن من زعم أنه موحد بقلبه، وهو لم يوحد بقوله وعمله فهو غير صادق، لأن توحيد القلب يتبعه توحيد القول والعمل، لقوله ﷺ : « إن في الجسد مضغة ...» .

٢) أن توحيد القلب لله تعالى بالربوبية هو توحيد فرعون الذي استيقن قلبه صدق موسى وأحقية ما جاء به، لكنه أصّر وعاند، وبقي على ما كان عليه من دعوى الربوبية حتى أهلكه الله.

٣) أن الواجب على الصادق في توحيد قلبه أن يلتمس رضى الله ولو سخط الناس، لا أن يلتمس رضى الناس ولو سخط الله، حتى لا يكون من أهل الباطل القائلي ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف : ٢٢].

وإلى هنا انتهت التعليقات على هذه الرسالة المباركة ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبالعمل الصالح تطيب الحياة قبل الممات وبعد الممات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه صلاةً وسلاماً دائمين كاملين إلى يوم حشر البريّات .

هذا حق ونحن نفهم هذا، ونشهد أنه الحق، لكنا لا نقدر أن نفعله ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم، وغير ذلك من الأعذار. ولم يدرِ المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار كما قال تعالى: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[1]، وغير ذلك من الآيات كقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾[2].

فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه، ولاً يعتقده بقلبه فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[3]، وهذه المسألة كبيرة وطويلة تبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا، أو جاه، أو مداراة لأحد، وترى من يعمل ظاهرا لا باطناً فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله: أولاهما قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب تبيَّن لك أن الذي يتكلم بالكفر، أو يعمل به خوفاً من نقص مال، أو جاه، أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها.

والآية الثانية قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ

---

(١) سورة التوبة، آية: ٩.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٤٦.

(٣) سورة التوبة، آية: ١٤٥.

عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ﴾[1]، فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئن بالإيمان، وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعله خوفاً، أو مداراة، أو مشحة بوطنه أو أهله أو عشيرته أو ماله، أو فعله على وجه المزح أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره.

فالآية تدل على هذا من وجهين:

الأولى: قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾[2] فلم يستثن الله تعالى إلا المكره، ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل وأما عقيدة القلب فلا يكره عليها أحد.

الثانية: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ﴾ فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد، أو الجهل، أو البغض للدين، أو محبة الكفر وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا فآثره على الدين. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

المؤلف الفقير إلى عفو ربه
عبدالله بن صالح القصير
في ١٤٢٣/٦/١٩هـ

---

(١) سورة النحل، آية: ١٠٦- ١٠٧.

(٢) سورة النحل، آية: ١٠٦.